التخطيط التربوي في كيفيّة إدماج ثقافة حقوق الإنسان في مناهج التعليم

عمارة بن رمضان (*)

تقديم

يمكن تعريف حقوق الإنسان بكونها مجموعة من الامتيازات تتصّل طبيعيّا بكلّ كائن بشريّ يتمتّع بها الإنسان ويضمنها القانون ويحميها.

ويرتكز مفهوم حقوق الإنسان على ثلاثة محاور أساسيّة أوّلها المنتفع بالحقوق وهو الإنسان، وثانيها نوعيّة الحقوق، وثالثها حماية الحقوق. «فالإنسان» المنتفع بالحقوق يختلف عن «الفرد» لأنّ العبارة الأخيرة تجعل من الشخص مجرّد ذات جسديّة، في حين أنّ عبارة «إنسان» تنطوي على الجسد والفكر والكرامة.

وأمّا العنصر الثّاني لمفهوم حقوق الإنسان فيتمثّل في خصائصها ونوعيّتها، وقد تعدّدت المقترحات لتصنيف حقوق الإنسان لعلّ أهّمها إثنان : تصنيف يعتمد معيارا قانونيّا فيميّز بين الحقوق الأساسيّة والحقوق الأخرى، وتصنيف يعتمد معيارا زمنيّا فيقسّم حقوق الإنسان إلى ثلاثة أجيال : جيل أوّل يتمثّل في الحقوق السيّاسية والمدنيّة، وجيل ثان يتمثّل في الحقوق الاقتصادية

* متفقّد أوّل للتعليم الثّانوي بالجمهوريّة التونسيّة، خبير في التربية والتّدريب ومستشار لدى المعهد العربي لحقوق الإنسان.

والاجتماعية والثّقافية، وجيل ثالث يُعرف بحقوق التّضامن الإنسانيّ، حيث السّلم والتّنمية، والإرث الإنساني المشترك، وحـقّ الأجيال المقبلة في بيئة نقيّة ومحيط سليم.

وبخصوص العنصر الثالث الذي يجعل من الحماية مقوّما من مقوّمات حقوق الإنسان، فإنّه يعني أن لا معنى لإقرار حقوق وحريّات ما لم تتمّ حمايتها على الصّعيدين الوطنيّ والدّولي. (1).

ومن أساليب الحماية نذكر بالخصوص الحماية بواسطة القانون حيث تُشرّع قواعد قانونيّة تكفل التمتّع بحقوق الإنسان بصورة فعليّة، ونذكر الحماية بواسطة التّربية والتّعليم لضمان نشر ثقافة حقوق الإنسان، والتّربية عليها، وجعلها سلوكًا يوميّا للأفراد. فلماذا التّربية على حقوق الإنسان، وكيف نخطّط لها في مستوى التّعليم ومناهجه ؟.

للإجابة عن هذين السّؤالين، سنحاول أن نقسّم مقالنـا إلى الأبـواب الأربعـة التاليّة :

ـ لماذا التّربيّة على حقوق الإنسان ؟

ـ كيف نخطّط للتّربية على حقوق الإنسان في مستوى التّعليم ومناهجه ؟ (الجوانب الفنيّة والجوانب الإجرائية لعمليّة التّخطيط أو التّربية على حقوق الإنسان في مستوى التّصور)؟.

ـ ما هي المداخل الممكنة لبناء منهاج في التّربية على حقوق الإنسان ؟ (أي التّربية على حقوق الإنسان في مستوى الإنجاز).

ـ ما هي مكوّنات المنهاج في التّربية على حقوق الإنسان ؟.

---

1 ـ عمارة بن رمضان ـ صالح الطّرابلسي، دليل المدرّس في التّربيّة على حقوق الإنسان، بصدد النّشر والتّوزيع، المعهد العربي لحقوق الإنسان، 2001 ، ص 20.

1 ـ لماذا التّربية على حقوق الإنسان ؟

تحتلّ حقوق الإنسان، في الفترة الحاليّة، مكانة متميّزة في حياة الأفراد والشّعوب، وتجاوز نطاقُها مجال القانون ليشمل علم السيّاسة والفلسفة والدّين ومختلف العلوم تقريبا، حتّى أنّ السياسة الدّولية أخذت تتبلور وتتشكّل طبقا لمفاهيم حقوق الإنسان، وكذا تقارب الغرب بالشّرق أخذ منحاه على أسس تُقرّ حقوق الإنسان كشرط من شروط التّعاون الدّوليّ والتّقارب بين الشّعوب (1).

فحقوق الإنسان، إذا اتّصلت بالمجتمع وتماسكه، تمثّل عاملا مساعدا على إقامة علاقات بصفة دائمة أساسها التّفاهم والاحترام، وإذا اتّصلت بالتنميّة، تمثّل أساسًا لتحقيق التّنمية في مفهومها الشّامل، وإذا اتّصلت بالسّلطة السياسيّة فإنّها تمثّل ضمانا لانتقال السّلطة بصفة سلميّة وحماية المجتمع من الانقلابات والهزّات خطيرة العواقب.

ولكن رغم هذه الأهميّة فإنّ حقوق الإنسان تنتهك في كامل أنحاء العالم، ولحمايتها من هذا الانتهاك اتّخذت عدّة أساليب منها :

* معرفتها : حقوق الإنسان لا يمكن حمايتها إلاّ إذا عرفناها وفكّرنا في وضع الآليات التي تضمن احترامها.

* المطالبة بها : حقوق الإنسان لا يمكن أن تُحمى عالميّا وبصفة فعليّة إلاّ إذا طالب بها جميع الأفراد بطريقة دائمة ومستمرّة.

* جعلها سلوكا يوميّا : تجاوز طابعها النّخبويّ وكسر جدار الصّمت والنّفاذ إلى أعماق المجتمع أفرادا ومؤسّسات.

ومن هذه المنطلقات تصبح التّربيّة على حقوق الإنسان أنجع وسيلة لوقاية الإنسانيّة من مخاطر الانتهاكات بمختلف أشكالها، كما أنّ هذه التّربيّة استثمار فعليّ لتأسيس مجتمع يُقدّر فيه الفرد ويُحترم، أيّ أنّها تربية من أجل حقوق الإنسان تؤسّس لحمايتها والدفاع عنها.

---

1 ـ المرجع والصّفحة نفسها

وعلى هذا المبدإ تقوم عشريّة الأمم المتّحدة للتربيّة في مجال حقوق الإنسان (1995 ـ 2004) وهي خطّة عالميّة تتظافر فيها جهود الجميع من حكومات ومنظّمات ومؤسّسات مختلفة للنّهوض بحقوق الإنسان.

ولتساهم المؤسّسة التربويّة في هذه الخطّة وهذا المجهود العالمي وجب عليها الالتزام بذلك وهو التزام جماعيّ في مستوى الأنظمة التربويّة.

وهذا الالتزام الجماعي معناه المتعلّمون أوّلا، ثمّ كلّ المتدخّلين في المؤسّسة التّربويّة، وهم أساسا :

ـ المدرّسون
ـ الإداريّون
ـ المشرفون البيداغوجيّون
ـ والأولياء

* فكيف نخطّط لهذه التربيّة ؟

* كيف ننجزها ونجعلها واقعا معيشا ؟

* ثمّ كيف نراقب تنفيذها ونقيّم نتائجها ؟

2 ـ كيف نخطّط للتّربية على حقوق الإنسان في مستوى التّعليم ومناهجه ؟

سنميّز في هذا المستوى بين أمرين : مسألة فنيّة عامّة ومسألة عمليّة إجرائيّة تتّصل بكيفيّة إدماج حقوق الإنسان في المناهج.

أ ـ الجانب الفنّي

يتّصل هذا الجانب بالتّخطيط في المجال التّربوي وبالطّرق التي تحكم سيره، ولعلّنا نهدف من وراء ذلك إلى تحديد معاني بعض المفاهيم المتداولة عالميّا وفي المنطقة العربيّة بصفة خاصّة، كما نهدف إلى إتاحة الفرصة كي نختار ما يتلاءم وواقعنا ويستجيب لإمكانياتنا البشريّة والماديّة.

وعليه، فإنّنا سنعرض المفاهيم التالية :

- التّخطيط في المجال التّربوي
- المنهاج
- البرنامج
- المخطّط
- المشروع

*** التّخطيط**

هو عمليّة فنيّة لتنظيم عمل الإنسان بعيدا عن الضبابيّة والارتجال، والتّخطيط في المجال التربويّ يتحدّد من خلال العناصر التي تكوّنه وهي ثلاثة:

- المتعلّمون
- المكوّنون
- المنهاج

هذه العناصر الثلاثة تتفاعل في ما بينها وتتكامل، ولكن بحسب مكانة كلّ عنصر أو بحسب الموقع الذي يحتلّه كلّ عنصر في علاقته بالعنصرين الآخرين يتحدّد المفهوم المرتبط بالتخطيط.

*** المنهاج** Curriculum

هو منظومة أنشطة، في مجال التّربيّة، يتطلّب إنجازها موارد بشريّة ومعدّات ماديّة وثروات ماليّة لإنتاج خدمات خاصّة بجمهور معيّن بهدف إحداث تغييرات لديه.

ولذلك، فإنّ المنهاج أكثر اتسّاعا من البرنامج والمخطّط والمشروع، فهو يتضمّن الغائيّات والأهداف العامّة، ومضامين البرامج، وأساليب التّنفيذ، وطرق التّقييم والمتابعة (1).

---

1 - Xavier Roegiers, Analyser une action d'éducation ou de formation, De Boeck Université, Belgique, 1997, P.40.

* **البرنامج** Programme

نتحدّث عن برنامج عندما يكون المنهاج والمكّون المحدّدين الأساسيّين لعمليّة التربيّة أو التّكوين. إذ يتمّ ضبطهما قبل المتعلّمين. إنّه منطلق العـرض الذي يُطرح (1).

مثال :

برنامج تكوينيّ حول كيفيّة بناء الكتاب المدرسي وطريقة التّعامل معه مقترح من قبل مركز في التكوين أو من قبل منظمة (...) : عرض يُطرح باتجاه البحث عن متكوّنين/ متعلّمين.

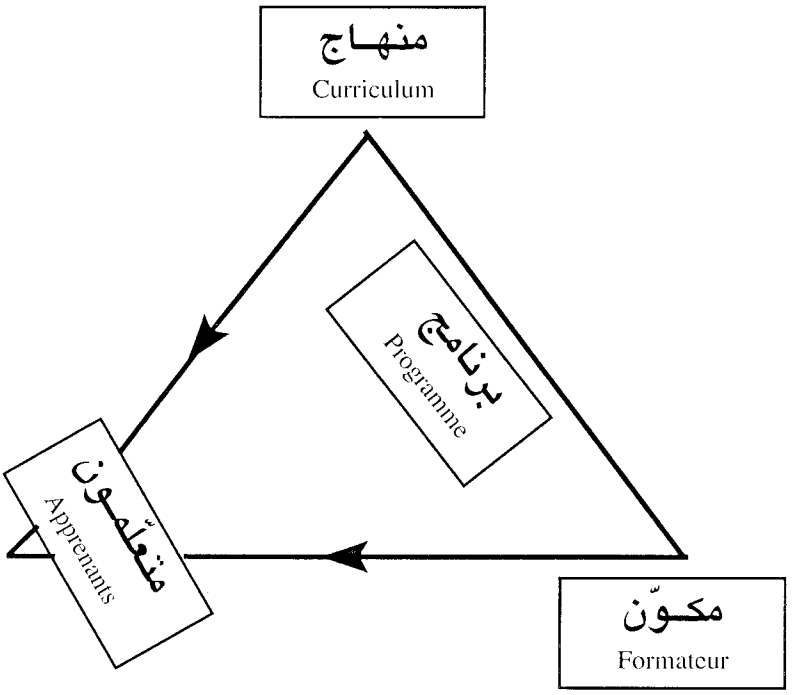

1 ـ انظر المرجع السابق.

* **المخطّط** Plan

نتحدّث عن مخطّط عندما يكون المنهاج والمتعلمّون المحدّدين الأساسيّين لعمليّة التربيّة أو التّكوين. معنى ذلك أنّ المنهاج والمتعلّمين يقع تحديدهما قبل المكوّنين. إنّه منطلق الطلب الذي يطرح . أي طلب مكوّنين/مدرّسين بحسب شروط تستجيب للمنهاج.

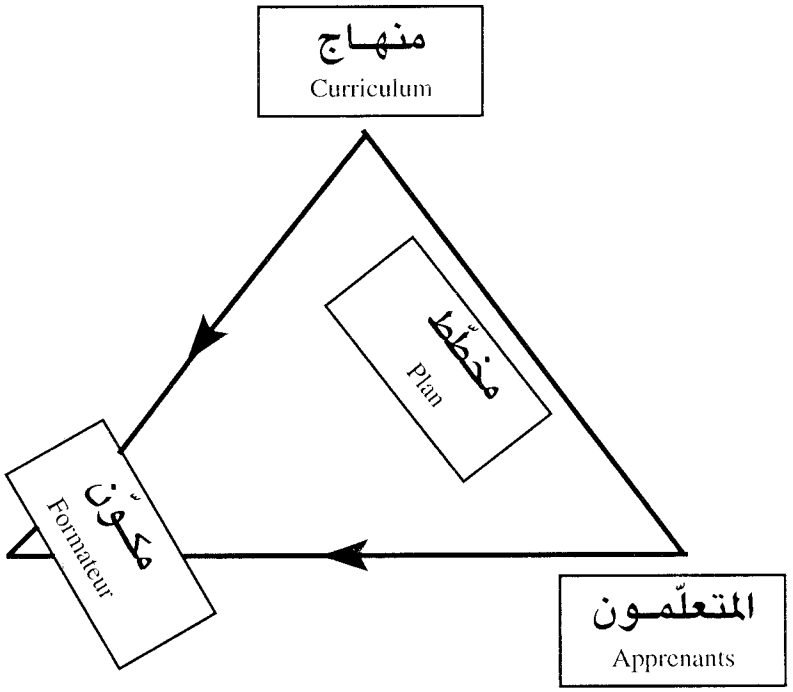

* **المشروع** Projet

نتحدّث عن مشروع عندما يكون المتعلّمون والمكوّنون هم المحدّدين الرّئيسيّين لعمليّة التربيّة أو التّكوين. معنى ذلك أن المشروع يتطلّب منهاجا ومكوّنين كي يدخل حيّز الواقع.

أمثلة :

ـ مشروع في التكوّن أعدّته مجموعة من المدّرسين يريدون التدّرب على استثمار الأنترنات في التّعليم.

ـ مشروع في التّربيّة على حقوق الإنسان وضعة المعهد العربي لحقوق الإنسان، ويتجّه لمتعلّمين من سنّ معيّنة.

في المثال الأوّل وقع تحديد المتكوّنين قبل المكوّنين، ولذلك نتكلّم عن مشروع من نمط طلب.

(Un projet de type demande. La demande vient des demandeurs)

وأمّا في المثال الثّاني فإنّ المكوّنين وقع تحديدهم قبل المتكوّنين، ولذلك نتحدّث عن مشروع من نمط عرضي.

(Un projet de type offre. La demande vient des formateurs).

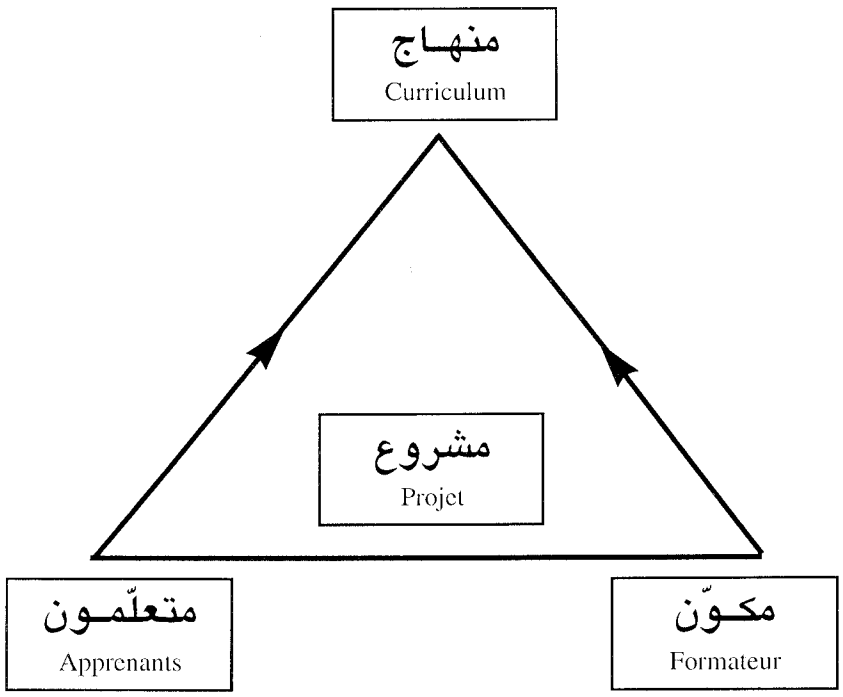

ملاحظة : في الحالات الثلاث نلاحظ أنّ «المنهاج» هو حصيلة اتّفاق بين المتعلّمين والمكوّنين، ولا يتأسّس إلاّ إذا كان مختلف الأطراف معروفون.

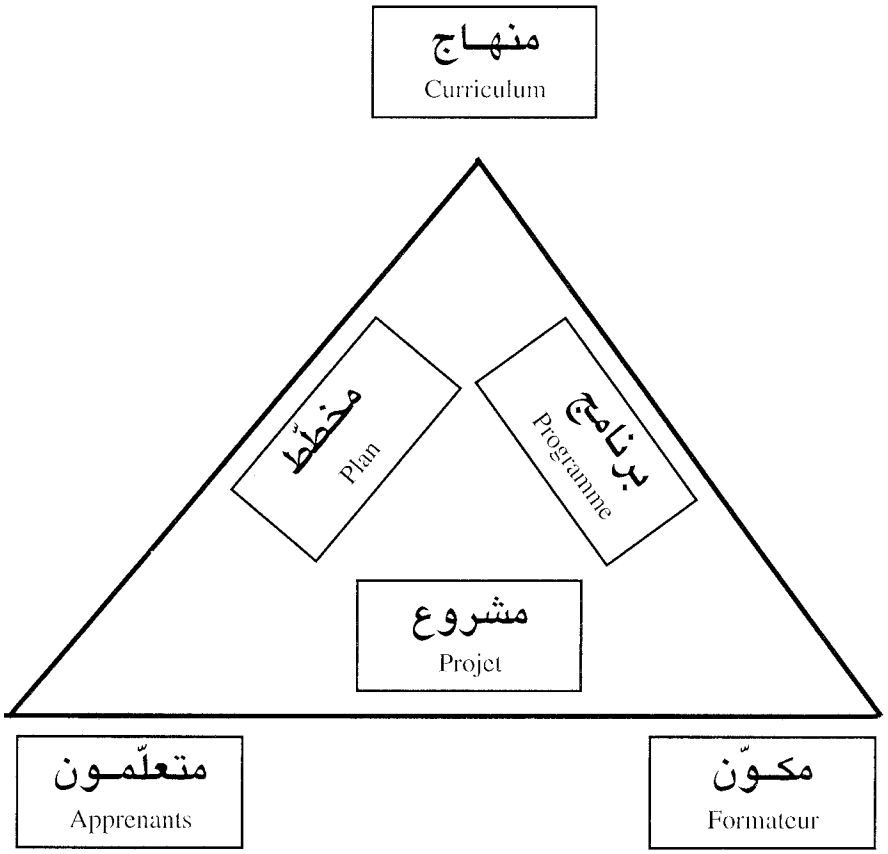

تناولنا الجانب الفنيّ في مستوى التّخطيط وهو لا يكتمل إلاّ بما يتبعه من عمليّات إجرائيّة تتمثّل في كيفيّة إدماج حقوق الإنسان في المناهج.

ب : الجانب العمليّ الإجرائيّ

نقصد بالجانب العمليّ الإجرائيّ مختلف الاتّجاهات والطّرق التي تحكم إعداد المنهاج وتنفيذه وتقييمه، وهي تتلخّص في منطلقات ثلاثة :

1 ـ وضع المنهاج من قبل خبراء (La logique de l'expertise)

2 ـ وضع المنهاج من قبل فئات مختلفة لها طابع تمثيلي (La logique stratégique)

3 ـ وضع المنهاج انطلاقا من مشاريع تنجز شيئا فشيئا مع التقدّم في الزّمن.
(La logique du projet)

* وضع المنهاج من قبل خبراء

هذا الشّكل هو الأكثر شيوعا، وهو الشّكل المعروف تاريخيّا، بحيث تُوكل مهمّة إعداد المنهاج إلى خبراء يُشهد لهم بالكفاءة في مستوى المعارف والمنهجيّة والقدرة على الإدماج (تلاقي المواد الدراسيّة... والقدرةعلى التأليف بين عناصر منفصلة حتّى تصبح وظيفيّة وذات معنى...)، كي لا تكون المناهج مجرّد اختصاصات علميّة لارابط بينها.

* وضع المنهاج من قبل فئات لاطابع تمثيلي / سياسي

يقع وضع المنهاج استنادا إلى آراء مختلفة ومتباينة أحيانا، بحيث تكون الحصيلة نتاج تنازلات من قبل مختلف الأطراف، لأنّ هذه الأطراف تقدم على عمليّة إعداد المنهاج بتوجّهات جاهزة، أي أنّها تأتي بأجوبة أكثر من إتيانها بأسئلة.

لذلك فإنّ المنطق الذي يحكم هذه العمليّة هو منطق البحث عن إيجاد توازن بين اتّجاهات ومصالح مختلفة ومتناقضة.

* وضع المنهاج انطلاقا من مشاريع تنجز شيئا فشيئا مع التقدّم في الزّمن

هذه الطّريقة لها منحى عكس الطريقة السّابقة، لأنّ واضعي المنهاج يأتون بأسئلة أكثر من إتيانهم بأجوبة، ويدخلون في عمليّة تفكير جماعيّة لبناء استنتاجات عامّة وتوجّهات عامّة. ونتيجة لذلك، فإنّ المنهاج يتحقّق ببطء.

بعد أن تناولنا التّخطيط التّربويّ في مجال حقوق الإنسان في بُعده التّصوّريّ، نتساءل الآن عن هذا التّخطيط في مستوى الإنجاز.

3 ـ التّربيّة على حقوق الإنسان في مستوى الإنجاز

سنطرق في هذا الباب مسألتين :

ـ ما هي المداخل الممكنة لبناء منهاج في التّربيّة على حقوق الإنسان ؟

ـ ما هي مكوّنات هذا المنهاج ؟

أ ـ المداخل الممكنة لبناء منهاج في التّربيّة على حقوق الإنسان

هناك ثلاثة مداخل يمكن عن طريقها تضمين التّربيّة على حقوق الإنسان في المناهج والمقرّرات الدّراسيّة وهي :

ـ مدخل الوحدات الدّراسيّة

ـ المدخل المستقّل

ـ المدخل الاندماجي

فمدخل الوحدات يعني معالجة موضوعات تتضمّن أبعادًا حقوقيّة، وأمّا المدخل المستقلّ فمعناه أن تُدرج حقوق الإنسان كمادّة تعليميّة مستقلّة بذاتها أهدافًا ومضمونًا وإطارات بشريّة وتوقيتًا خاصًا ونظام امتحانات (...)، في حين أنّ المدخل الاندماجيّ يهتمّ بتضمين موضوعات حقوقيّة معيّنة في مختلف الموادّ التعليميّة أو في بعضها، بحيث نميّز بين الموادّ النّاقلة والموادّ النّاقلة بصفة جزئيّة وربّما الموادّ غير النّاقلة.

ب ـ مكوّنات المنهاج Les composantes du curriculum

يتكوّن المنهاج من الهدف الاندماجيّ النّهائي(L'objectif terminal d'intégration) الذي يُترجم إلى مجموعة من الكفايات الأساسيّة (Des compétences de base) تُترجمُ بدورها إلى أهداف مميّزة، (Des objectifs spécifiques) ومضامين (Des contenus)

كما يتضمّن المنهاج أدوات التّنفيذ، ووسائل التّقييم، والمتابعة، والتّعديل (1).

الهدف الاندماجيّ النّهائي (2)

الكفايات الأساسيّة المتّصلة بالهدف الاندماجي النهائي	الأهداف المميّزة المتّصلة بالكفاية	المضمون المعرفي المتّصل بالكفاية	وسائل التنفيذ والتقييم والمتابعة
↑ الكفاية الأساسيّة الرّابعة ↑	- - - -	- - - -	- - - -
الكفاية الأساسيّة الثّالثة ↑	- - - -	- - - -	- - - -
الكفاية الأساسيّة الثّانية ↑	- - - -	- - - -	- - - -
الكفاية الأساسيّة الأولى ↑	- - - -	- - - -	- - - -

1 ـ الهدف الاندماجيّ النّهائي، هو مجموعة من الكفايات الأساسيّة المندمجة والمقرّرة لمرحلة تعليميّة معيّنة، أو لفترة تعليميّة معيّنة. فهو كفاية شاملة (macro-compétence) تُمارسُ على وضعيّة اندماجيّة ذات دلالة بالنّسبة إلى المتعلّم.

ـ الكفاية (Compétence) هي مجموعة مندمجة من الأهداف المميّزة تتحقّق في نهاية فترة تعليميّة، أو في نهاية مرحلة تعليميّة، وتقدّم في صيغة وضعيّات دالّة لحلّ مشكلات لها علاقة بحياة المتعلّم. وأمّا الكفاية الأساسيّة (Compétence de Base) فيُقصد بها الكفاية الضّروريّة التي عليها تتوقّف عمليّة مواصلة التعلّم في المرحلة اللاّحقة، عكس كفاية التميّز (Compétence de perfectionnement)التي لا يحول عدم تملكها دون مواصلة التّعلّم في المرحلة اللاّحقة.

ـ القدرة : هي نشاط عرفاني أو حسّي ـ حركيّ.

ـ الهدف المميّز هو نشاط عرفاني، أو حسّي ـ حركيّ يُمارس على محتوى.

ـ المحتوى : هو مضمون معرفيّ أو جزء من مضمون معرفيّ.

2 ـ عمارة بن رمضان، بلقاسم حسن، هالة الزّرّاع «برامج التّربيّة المدنيّة بالمرحلة الثّانيّة من التّعليم الأساسيّ في مقاربة الكفايات الأساسيّة». طبعة تجريبيّة ـ وزارة التّربيّة، تونس، 2000.

تُنجز الكفايات الأساسيّة انطلاقًا من وضعيّات في التّعلّم والتّقييم لها طابع اندماجيّ، وذات دلالة بالنّسبة إلى المتعلّم، إذ يُدعى إلى توظيف مكتسباته المعرفيّة، والمهاريّة، والموقفيّة السّلوكيّة لمعالجة تلك الوضعيّات في أسلوب يراعي سنّه ومستواه الذّهنيّ والمعرفيّ، ويستند إلى قواعد العمل الجماعيّ، ويرتكز على وسيلة الاتّصال التعليميّة الجيّدة.

وأمّا مضمون تلك الوضعيّات فمرجعه النّصوص الكونيّة الصّادرة في مجال حقوق الإنسان بملاءمتها وتطويعها بحسب مقتضيات البيئة المحليّة.

خاتمة

إنّ القول بأنّ المؤسّسة التّعليميّة، بمختلف درجاتها، أداة أساسيّة لتغيير العقول والممارسات هو قولٌ بديهيّ، وإنّ التّربيّة على حقوق الإنسان بواسطة المدرسة والتّعليم طريقٌ ناجعة لتجاوز الطّابع النخبويّ لحقوق الإنسان وجعلها ثقافة مجتمعيّة واسعة الانتشار، تضمن للمجتمع نماءه وتحصّنُه ضدّ الهزّات والانقلابات خطيرة العواقب.

ولذلك يتأكّد أكثر من أيّ وقت مضى أن نخطّط لثقافة حقوق الإنسان ونشرها بواسطة التّعليم ومناهجه، وأن نتخيّر أنسب المداخل لذلك التّخطيط، ولعلّنا بهذا المقال قد ساهمنا في التّعريف بأساليب التّخطيط التّربوي في مجال حقوق الإنسان وتبسيطها، وإن كنّا قد أكدّنا بالأساس على الجوانب الفنيّة والاجرائيّة لهذا التّخطيط وأعطيناها الاعتبار الأوّل متغاضين عن مضامين حقوق الإنسان وطرائق تبليغها، وهو أمرٌ يحتّمه موضوع الورقة.